# إحياء السنة

## وإخماد البدعة

تأليف

العالم العامل الورع المجاهد
الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة

## الشيخ عثمان بن فودي

تغمده الله برحمته

الطبعة الثانية

طبع بإذن حفيد المؤلف
الحاج سا احمد بلو سردونى
صكتو



ويطلب من الناشر
الحاج عبد الله اليسار
حفظه الله في السر والجهار

بسم الله الرحمن الرحيم

« يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ
وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ
إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ
ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » .

( قرآن كريم )

بسم الله الرحمن الرحيم

# تقديم
## بقلم الأستاذ الدكتور محمد البهى
### مدير جامعة الأزهر

---

كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة ، أحد كتابين من نيف وعشرين كتابا ، للمصلح الشيخ عثمان بن محمد بن فودى ( ١٢٣٢ هـ - ١٨١٧ م ) مؤسس النهضة الإسلامية الحالية فى إفريقية الغربية . أما الكتاب الثانى فهو : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » (١) .

والكتابان يكمل أحدهما الآخر : الأول منهما فى الجانب التطبيقى العملى للإسلام ، والثانى فى الجانب التصورى والعقيدى منه .

وبربط الكتابين أحدهما بالآخر ترسم الصورة الجلية للمؤلف العالم الفاضل والمصلح الإسلامى الكبير . منهما معاً يتجلى عمله الإصلاحى والتجديدى ، ويتحدد هدفه من تأليفهما كما تتحدد الغاية من رسالته التى قام يدعو إليها طوال حياته .

دعوته الإصلاحية :

أراد هذا العالم المصلح أن يحقق فى القرن الثامن عشر ، مادعا إليه ابن تيمية ( ٧٢٨ هـ - ١٣٢٨ م ) من قبل فى القرن الرابع عشر ، من وجوب الفصل بين

---

(١) مطبعة الزاوية التيجانية بالقاهرة سنة ١٣٧٧ هـ .

الاسلام ومبادئه من جانب ، وبين الآراء التى دخلت الجماعة الاسلامية على مر الزمن ، واتصلت اتصالا وثيقا بتلك المبادىء من جانب آخر ، حتى أصبح من العسير أن يميز المسلم بين أصيلها وطارئها ، وبين ماهو من الاسلام ، وما هو دخيل عليه .

وقد سلك الشيخ عثمان بن فودى فى هذه القضية : قضية الفصل بين ماهو إسلام وما ليس باسلام — مسلكا فى غاية التيسير ، وفى الوقت نفسه فى غاية القوة والوضوح . فعمد فى كتاب « إحياء السنة وإخماد البدعة » الذى نقدم له اليوم ، إلى بيان ماهى السنة التى يجب اتباعها فى المجال العملى والتطبيقى للإسلام ، وما هى البدعة التى يجب اجتنابها فى هذا المجال .

أما فى الكتاب الثانى وهو كتاب : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » فقصد إلى مجال العقائد والتصورات ، وكشف عن أصل السنة وعما طرأ عليها من البدعة موضحا كل ذلك بالدليل من الكتاب أو السنة أو الإجماع .

## صلته بالحركة السلفية :

وعثمان بن فودى بما كتبه فى هذين الكتابين ، يتضح أنه من أنصار الحركة السلفية التى تدعو إلى رجوع المسلمين إلى القرآن والسنة الصحيحة والتمسك بهما وجعلهما الأساسين اللذين يردّ إليهما كل خلاف بين المسلمين ، واللذين يقوم بهما كل رأى نسب إلى الاسلام أو كل عمل يؤدّى منسوبا إليه .

هو من أولئكم الذين يجعلون من قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » شعار المسلمين فى كل وقت وفى كل جيل ،

بحيث لا يكون الإيمان بالعصمة إلا لله جل جلاله ، ثم لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وبحيث لا يكون الاتباع ولا تكون الطاعة واجبة إلا لما نص عليه كتاب الله ، ولما جاء فى الحديث الصحيح لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه ، وإلا لما وافق ما جاء فيهما موافقة صريحة واضحة من أقوال أئمة المسلمين .

## تأثره بابن تيمية :

عثمان بن فودى هو أحد القلة من العلماء الذين تتلمذوا على كتب ابن تيمية ، بعد أن اتصلوا بها فى مكة عن طريق محمد بن عبد الوهاب ( ١٢٠٦ هـ - ١٧٩٢ م ) وهو ثانى اثنين من أصحاب الحركة السلفية من بين هؤلاء القلة فى إفريقية . أما الآخر فهو محمد بن على السنوسى الكبير ( ١٢٧٦ هـ - ١٨٥٩ م ) فى شمال إفريقية . والحركة فى إفريقية وفى مصر مدينة لهذين العالمين ، وإن اختلفت المناطق التى تأثرت بكل واحد منهما .

فاذا كان لمحمد بن على السنوسى الكبير فضل على الحركات الإصلاحية فى شمال إفريقية وفى مصر - فعثمان بن فودى له هدا الفضل على تلك الحركة فى غرب إفريقية ، التى تشمل "قطاع الجنوبى للجزائر وبلاد المغرب حتى المحيط الاطلسى جنوبا وغربا .

وإن العمل الذى قام به عثمان بن فودى فى هذين الكتابين لا يستحق فحسب - التنويه به وإنما يدعو إلى اقتباسه والتلمذة عليه ، ثم الاستمرار فيه .

إن كثيراً مما يشتبه على المسلمين فى أمر دينهم وفى مبادئه أو فى تطبيقاته ، يجد الحل الواضح إما فى هذا الكتاب وإما فى ذاك .

ولا أريد أن آتى بأمثلة للقارىء من هذا الكتاب الذى أقدمه ، وهو كتاب : « إحياء السنة وإخماد البدعة » لتوضيح قيمة العمل الذى قام به هذا المصلح فى القرن الثامن عشر ، فى غرب إفريقية فالكتاب بين يديه ،ومن السهل قراءة أى باب فيه . ومن قراءة هذا الباب تنكشف له القيمة الحقيقية لهذا العمل الجليل .

ولكنى فقط أذكر بعض الأمثلة مما كتبه فى الكتاب الثانى الذى يجب أن يعنى الأزهر بطبعه على نفقته ، إسهاما منه فى تنوير العقلية الأزهرية نفسها . فضلا عن تنوير الرأى العام الإسلامى .

## أمثلة من كتاب « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » :

فى هذا الكتاب الثانى يذكر هذا العالم الجليل المصلح ، ما كان من الأوهام التى صارت عقيدة لدى المسلمين خاصة بعلم الكلام فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن أحدا لايحكم له بالإيمان والإسلام إلا بعد تعلم العقائد وأدلتها ، وما يناظر به الخصوم وما تحل به الشبهات على طريق المتكلمين ، مع الحفظ والعد والقدرة على العبارة بذلك كله ، وهذا أيضا باطل ووهم على الإجماع .

« قال الإمام العلامة المحقق محمود بن أحمد القونوى فى شرح العمدة للنسفى : ويحقق بطلان مذهبهم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك فى زمانه ، ولم يفعل ذلك الصديق زمن خلافته فى أهل الردة ، وكذا عمر رضى الله عنه لم يفعل ذلك زمن خلافته فى الزط والأنباط (*) لما فتح سواد العراق ، مع قلة

(*) الزط : جيل من الهند أو السودان ، والأنباط : جيل من الناس كان يسكن سواد العراق ( قراها ) ثم استعمل في أخلاط الناس وعوامهم .

أذهانهم وبلادة أفهامهم ، ولم يفعل ذلك أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كل من قام مقامهم إلى يومنا هذا ، ولو كان ما زعموا حقا لاشتغلوا بأحد أمرين . إما بالإعراض عن قبول إسلامهم ، أو بنصب متكلم حاذق بصير بالأدلة عالم بكيفية المحاجة ، ليعلمهم صناعة الكلام ، ثم بعد ذلك يحكمون بإيمانهم . وعند امتناعهم وامتناع كل من قام مقامهم إلى يومنا هـــذا عن ذلك - ظهر أن ما ذهبوا إليه باطل ، لأنه خلاف صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه العظام ، وغيرهم من الأئمة الكرام[1] .

ويذكر ما كان منها خاصا بالتفرقة بين المسلم والمؤمن - وهى التفرقة المشهورة لدى علماء الكلام - فيقول :

« ومن تلك الأوهام رد بعضهم معنى المسلم إلى معنى المنافق ، لأن حقيقة المسلم عندهم من يظهر الإسلام وهو غير مؤمن فى قلبه ، وهذا عين النفاق . وهذا أيضا باطل ووهم على الإجماع ؛ لأن حقيقة المسلم من يظهر الإسلام وهو مؤمن فى قلبه ، لأن الإيمـان شرط فى حقيقة الإسلام

قال عبد الرحمن السيوطى فى الكوكب الساطع .

وعمل الجوارح الإســـلام        وشرطه الايمان والتمام

أما لفظ المسلم فيطلق مجازاً على المنافق لخفاء أمره علينا . ا هـ »[2] .

ثم يذكر من الأوهام ما شاع أيضا فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدين يسر » فيقول :

---

(١) ص ١٠ ، ١١ .      (٢) ص ٢٣ ، ٢٤ .

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن قوله صلى الله عليه وسلم : « الدين يسر » يوجب التساهل ولو فى الواجبات والمحرمات . وإذا سمعوا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى البلدة قالوا : هذا مشدد ، إن دين الله يسر . وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ؛ لأن هذا التيسير المذكور فى هذا الحديث وغيره إنما يدخل فى باب النوافل ، ولا يدخل فى باب الواجبات التى أجمع المسلمون على إيجابها ، ولا فى باب المحرمات التى أجمع المسلمون على تحريمها إلا عند الضرورة ، كالتيمم عند عدم الماء أو القدرة على استعماله ، وكأكل الميتة للمضطر » . اهـ .[1]

كما يذكر ما شاع من الأوهام فى صلة المتأخرين بالمتقدمين فيقول :

« ومن تلك الأوهام أن بعضهم يعميه الحسد ويقول : الصواب ترك الاشتغال بالتواليف المؤلفة اليوم ، لأن تواليف الأئمة الأعلام الذين تقدموا لم تترك لنا شيئا نحتاج إليه ، وهم أوفر علما من الذين يؤلفون اليوم ، وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، لأن كل عالم يراعى فى تأليفه همم أهل زمانه وأغراضهم ، لأنه العالم بذلك ، ولهذا كان تأليف كل عالم فى زمانه يراعى أنفع لأهل ذلك الزمان من تأليف غيره »[2] . . كما يقول فى هذا الشأن أيضا :

« ومن تلك الأوهام أن بعضهم يستبعد أن يفتح الله لأحد ممن تأخر ما لم يفتح لأحد من شيوخهم فى باب العلم . وهذا أيضا باطل ووهم على الاجماع ، فما يقال لفضل الله : ذا بكم ؟ إذ كان فضل الله تعالى لا يختص بالأزمنة والأمكنة ،

---

(١) ص ٤٥ .

(٢) ص ٥٩ .

وهو تعالى قادر على كل شيء . كيف يستبعد ذلك ؟ قال تعالى : « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » وقال تعالى : يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[1] .

ولا يفوته أن يذكر بعض الأوهام التي صارت عقيدة فيما يختص بكتب التفسير فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن كل ماوجدوه فى كتب التفسير حق ، لأنها تفسير كلام الله . وهذا أيضا باطل ووهم على الإجماع ، لأن كتب جهلة المفسرين مملوءة بالأباطيل وما لا يليق بالأنبياء ، ولذلك قال القاضى عياض فى الشفاء :

« ولا تلتفت إلى ماتجده فى كتب جهلة المفسرين والمؤرخين »[2] .

وأيضا لم يفته أن يذكر بعض الأوهام التى تتصل بأصحاب « الكشف » فيقول :

« ومن تلك الأوهام اعتقاد بعضهم أن كل من كان من أهل الكشوفات يصح الاقتداء به فى طريق السلوك إلى الله تعالى . وهذا أيضا باطل ووهم على الإجماع، لأن الصواب أن كل من كان من أهل الكشوفات إن كان ممن عرف طريق السنة ظاهرا وباطنا يصح الاقتداء به فى طريق السلوك إلى الله ، وإلا بأن كان من أهل الكشوفات ولم يعرف طريق السنة فى السلوك إلى الله وجب تعليمه فقط ، ولا يصح الاقتداء به فى ذلك لأنه مجذوب مجرد »[3] .

---

( ١ ) ص ٦٥ .
( ٢ ) ص ٦٦ .
( ٣ ) ص ٧١ ، ٧٢ .

## مبادىء أساسية :

ولا يفوت هذا المصلح الكبير فى هذا الكتاب « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » أن يقرر بعض المبادى الأساسية التى هى فى واقع أمرها منطق الآية الكريمة التى ذكرنا أنه متمسك بها ، على أنها شعار المسلمين فى فهمهم للإسلام وفى عملهم بمبادئه ، على نحو ما يذكر فى قوله :

« قال أحمد زروق فى عمدة المريد الصادق : إن السنة حجة على جميع الأمة ، وليس عمل أحد من الأمة حجة على السنة ؛ لأن السنة معصومة من الخطأ وصاحبها معصوم ، وسائر الأمة لم تثبت لهم العصمة إلا مع إجماعهم خاصة ، فإذا اجتمعوا تضمن إجماعهم دليلا شرعيا . ثم قال بعد كلام : نعرض ماجاءنا عن الأئمة على الكتاب والسنة ، فما قبلاه قبلناه . وما لم يقبلاه تركناه ، وإن كانوا من جنس من يقتدى به ؛ لا رداً له ولا اعتراضا عليه ، بل لأنا لم نفهم وجه رجوعه إلى القواعد الشرعية كما فهمنا غيره .

وفى « المدخل » نجد بعضهم لايعرف السنة ، بل لايتبع إلا شيخه ، فإذا قلت له: السنة كذا وكذا ، يقول : كان شيخى يفعل كذا ، وطريق شيخى كذا ، ويصادم بذلك السنة الواضحة . انتهى : (١)

## تصحيح المفاهيم الإسلامية :

كما لايفوته أن يرد كثيرا من المفاهيم الإسلامية — التى حولها ضعف الأمة الإسلامية وركودها الفهم لعلمائها ، إلى ما يجعلها بعيدة عن منطق الإسلام ومطلوب

---

(١) ص ٤١ .

مبادئه فى حياة الإنسان - يردها إلى وضعها الأول ، وهو ذلك الوضع الذى جعل من المؤمنين القلة أقوياء فى حمل رسالتهم وتبليغ حضارة الاسلام إلى جميع أرجاء الأرض فى وقت وجيز ، لم يعرفه التاريخ لرسالة سبقته أو لحركة قامت بعده .

فهو يوضح : كيف صار « التوكل » إلى معنى العجز ، ومعنى «الدعوة إلى الله» - إلى حب الرياسة ، ومعنى ، « الاجتهاد » إلى الغلو ، ومعنى «العفو» إلى الذل ، و معنى « شرف النفس » إلى التيه ، ومعنى «الوجد» إلى الحقد ، ومعنى «الجود» الى السرف ، ومعنى «الهيبة» الى الكبر ، ومعنى «التواضع» الى المهانة ، ومعنى «الاحتراس» الى سوء الظن ، ومعنى « الرقة » إلى الجزع ، ومعنى «الصبر» الى القسوة ، ومعنى « سلامة القلب » الى بله القلب ، ومعنى «الشكر» الى الفخر . . . الخ [1]

* * *

## مسلكه فى الإصلاح :

ولاشك أن هذه النصوص التى اقتبسناها من كتاب : « حصن الأفهام من جيوش الأوهام » للعالم المصلح عثمان بن فودى تعبر - بجانب كتابه الذى نقدم له وهو : «إحياء السنة وإخماد البدعة» - تعبيرا واضحا عن مسلكه فى الإصلاح وهدفه من دعوته، وهو الرجوع الى القرآن والسنة الصحيحة فيما شجر بين المسلمين من خلاف ، وفيما تنازعوا فيه من أفهام ، وفيما اختلط عليهم من أمر دينهم بما طرأ على جماعتهم من عادات الأمم الأخرى وتقاليدها وطقوسها واعتقاداتها ، على ممر الأزمنة التى خالطوا فيها غيرهم ، والتى ضعفوا فيها واستكانوا ، وتلقوا ما لغيرهم بالقبول وحاكوه عن تأثر به .

---

(١) ص : إلى ٥٨ .

## الحركة السلفية وأثرها في حركات الإصلاح :

إن القرن الثامن عشر الميلادى - بعد ما استولى الوهابيون على الحجاز وعلى عاصمته مكة - كان الربط الزمنى بين زعماء الحركة السلفية فى الأمة الاسلامية فى إفريقية وآسيا ، والتى أثرت فيما بعد فى حركات القرن التاسع عشر ، التى قام بها جمال الدين الأفغانى (١٣١٥ هـ - ١٨٩٧ م) ومحمد عبده (١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م) ثم فى الحركات الاسلامية الاصلاحية والقومية ، فى ربوع هاتين القارتين فى القرن العشرين - وفى مقدمتها حركة التجديد للفيلسوف الكبير محمد إقبال (١٣٥٧ هـ -١٩٣٨م) - والتى لم تزل حتى الآن تؤتى ثمارها .

## جهاد المصلحين :

وأحمد بن تيمية كان الرائد الأول للنهضة الإسلامية ، لإعادة بناء المجتمع الاسلامى بدعوته التى أوذى فى سبيلها ، وهى الرجوع الى الكتاب والسنة ، ونبذ التقاليد والعصبية للمذاهب ، وطرح «الوسيلة» و «عصمة الإمامة» .

وعثمان بن فودى أحد خلفائه المبرزين فى القرن الثامن عشر ، الذين تتلمذوا فى مدرسته ، تلك المدرسة التى يسر أمرها اليهم الداعية المصلح محمد بن عبد الوهاب وإن لم يستطع هذا الداعية أن ينفذ بمنهج ابن تيمية وبأهدافه من دعوته ، فى حياة أتباعه حتى اليوم .

* * *

وقد لاقى عثمان بن فودى — كما لاقت الحركة السنوسية والزاوية السنوسية . وكما لاقى جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده - من اضطهاد الاستعمار ، ومن إنكار أبنـــاء وطنه لدعوته ، مثل ما لاقى ابن تيمية من اضطهاد التتار والصليبيين ،

ومن ائتمار إخوانه فى الإسلام عليه . وتلك سنة إلهية ، سبقهم فيها إمام المصلحين ورسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد لاقى العنت من الداخل والخارج على السواء ، فى سبيل دعوته وإيمانه بها .

... والعاقبة للمؤمنين :

ولكن من السنن الإلهية أيضا أن النصر للمؤمنين وحدهم ، وأن الخلود فى الحياة والتاريخ ، للذين تحملوا الأذى فى سبيل المبادىء ، ولم يتحملوه فى سبيل إشباع شهوة البطن أو الفرج ، وعن طريق الترف والانحراف .

* * *

وقد كان طبع هذا الكتاب (طبعته الأولى) فى مطبعة الأزهر باشراف إدارة الثقافة الإسلامية ، اتباعا لإرشادات فضيلة الأستاذ الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر- ليس فحسب تمكينا للروابط بين نيجيريا المسلمة ، وبين الجمهورية العربية المتحدة ، ولا تذكيرا بتلك النهضة الإسلامية التى شعت فى القرن الثامن عشر فى غرب إفريقية ، بل كان من وراء ذلك أيضا تنوير الرأى الإسلامى العالمى بهذا المجهود الذى قام به زعيم الإصلاح الدينى فى غرب إفريقية .

وما أحوج المسلمين إلى إصلاحه فى وقتنا الحاضر ، وما أحوج علماء الأزهر فى مقدمة المسلمين أن يعرفوه ، ثم من بعد ذلك يسيرون فى طريقه ؛ حتى تبقى كلمة الله هى العليا ، وحتى تكون ريادتهم للدعوة الإسلامية ريادة سليمة ، وبذلك تعود للمسلمين عزتهم وكرامتهم .

* * *

وإذا ذكر التاريخ هذه النهضة الإسلامية ونتائجها فى تأليف هذا المصلح الكبير عثمان بن فودى ، فانه سيذكر حتما أن من آثار هذا البعث الإسلامى ، وإحياء النهضة الإسلامية الأصيلة ، وإبعاد ما طرأ عليها من بدع وأوهام - إصلاح الأزهر الجديد ، فى عهد قائد الثورة جمال عبد الناصر.

* * *

وسيجزى الله خير الجزاء الأساتذة أعضاء اللجنة التى أشرفت على إخراج هذا الكتاب ، وكذلك كل من أشار وأسهم فى طبعه وإخراجه ، فانه صادق الوعد إذ يقول : « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ».

والله الموفق والمستعان ؟

الطبعة الأولى — القاهرة فى { رمضان سنة ١٣٨١ / مارس سنة ١٦٦٢ }

دكتور محمد البهى
مدير جامعة الأزهر
وعضو مجمع البحوث الإسلامية